تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

هل تنصر وساطة ماكرون بين ترامب وروحاني؟

أوروبا بين المطرقة الأميركية والسندان الإيراني

تجد اوروبا نفسها محشورة بين المطرقة الاميركية والسندان الايراني، وتعتبر ان طهران تلعب معها لعبة حافة الهاوية وتحاول ابتزازها من خلال التلويح بالخروج من الاتفاق النووي الذي تتمسك به باريس ولندن وبرلين. لكن طهران التي تحتاج الى الدعم الاوروبي، تعي تماما ان نقض الاتفاق ايرانيا سيعني آليا خسارة الدعم الاوروبي

تجازف ايران عن سابق تصور وتصميم في خسارة الدعم الاوروبي، لأن وجهتها المفضلة صارت في اتجاه الشرق (روسيا والصين) وليس الغرب، لذا فهي تعكس في رسالتها خيبة من اوروبا والرهان عليها لأنها غير قادرة على تعويضها ما خسرته باعادة فرض العقوبات الاميركية عليها، ولأنها لا تملك الارادة السياسية والعملية للوقوف في وجه الولايات المتحدة.

عندما قرر الرئيس الاميركي دونالد ترامب في العام 2018 الخروج من الاتفاق النووي، وعدت الدول الاوروبية ايران بأنها ستنفذ جميع تعهداتها وستضع آلية مالية (انستكس) تساعدها على تجاوز العقوبات الاميركية عليها. واكد الاوروبيون للايرانيين انهم سوف ينفذون هذا المشروع شرط بقاء ايران في الاتفاق النووي، وتنفيذ تعهداتها كما في السابق كأن شيئا لم يحصل. انتظر الايرانيون تنفيذ الوعود الاوروبية لكن الاوروبيين لم يفعلوا شيئا، بينما زاد الاميركيون من ضغوطهم وعقوباتهم على ايران خلال هذا العام بشكل غير مسبوق. وجدت ايران ان الاوروبيين ينفذون جميع العقوبات الاميركية بحذافيرها، وفشلوا حتى الان في الوفاء بالتزاماتهم بموجب الاتفاق وحماية مصالح ايران. تعتبر طهران انها صبرت وتعاملت بضبط النفس نزولا عند طلب فرنسا والاتحاد الاوروبي، وان اوروبا لا تريد او ليست لديها القدرة على العمل بتعهداتها. لذا فهي تخوض معركة شاملة للضغط في اتجاه اخراج موقف اوروبي واضح ونهائي من التزام عائدات الاتفاق النووي، الاقتصادية والتجارية.

ما بين واشنطن من جهة وباريس ولندن وبرلين من جهة اخرى، في ما خص الملف الايراني، علاقات معقدة. تؤكد المصادر الاوروبية، ان اميركا واوروبا تتقاسمان الاهداف نفسها في شأن تحسين شروط الاتفاق النووي المبرم مع طهران صيف عام 2015،

ايران لا تستطيع الانتظار تحت وطأة العقوبات وتريد فكها.

والحاجة الى لجم البرنامج الصاروخي - الباليستي الايراني ووضع حد لسياسة ايران الاقليمية. الا ان الخلاف يقوم على الوسائل، مشددة على ان المأخذ الاول على المقاربة الاميركية القائمة على الضغوط الاقتصادية والسياسية، واحيانا العسكرية انها لا تترك بابا مفتوحا لايران يمكن من خلاله حضها على العودة الى طاولة المفاوضات لفتح الملفات الخلافية الثلاثة دفعة واحدة.

عكس قراءة الرئيس الاميركي، فان الاوروبيين يرون ان سياسة الضغوط القصوى التي تتبعها ادارته ويراد لها ان تكون مثابة الحبل الذي يلتف على عنق المسؤولين الايرانيين لارغامهم على العودة الى طاولة المفاوضات صاغرين، يمكن ان تؤدي الى نتائج عكسية. من هذه النتائج انها توفر لطهران وضع الضحية الذي تستطيع سلطاتها استغلاله لرمي كل مشاكل البلاد وصعوباتها على الخارج. اضافة الى انه يعطي الجناح المتشدد داخل ايران الذي لم يهضم ابدا الاتفاق النووي، الحجج اللازمة للتنديد به والتصويب على الرئيس حسن روحاني ووزير خارجيته، وبالتالي استبعاد العودة الى التفاوض.

الاهم من ذلك كله، وفق القراءة الاوروبية، ان طهران التي لم ينجح الاوروبيون في استجابة رغباتها لجهة تمكينها من الالتفاف على العقوبات الاميركية، التي ترى ان هذه العقوبات اصابت القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية وانها تصبح يوما بعد يوم اكثر ثقلا، لا تجد امامها سوى الاستفزاز الامني والعسكري بابا لتغيير المعادلة المفروضة عليها. يقوم التخوف الاوروبي وغير الاوروبي، على ان الاستمرار في سياسة حافة الهاوية لن يكون مضمونا لدى كل امتحان. فالمواجهة العسكرية يمكن ان تنطلق من غير ان تكون متعمدة او مخططا لها.

حتى الان، كان الاوروبيون يعتبرون انهم

يمتلكون ورقة ضغط على طهران، وهي تمسكهم بالاتفاق النووي ودفاعهم عنه في وجه الاميركيين. وحساباتهم انها لن تغامر بخسارة هذا الدعم، اذ انها لا تريد التحول الى كوريا شمالية او الى كوبا، وبالتالي فان مصلحتها ان تبقى داخل الاتفاق. ويبدو ان طهران كانت مقتنعة بهذه المقاربة، ما عكسته سياسة الصبر الاستراتيجي في وجه الضغوط القصوى الاميركية. لكن المصادر الاوروبية ترى ان قواعد اللعبة قد تغيرت اليوم بسبب العقوبات الاميركية الفعالة التي قلصت مثلا الصادرات الايرانية من النفط الى اقل من 400 الف برميل في اليوم مقابل 1.5 مليون برميل قبل العقوبات. الفارق الاساسي بين واشنطن وطهران ان الاولى تراهن على عامل الوقت حتى تفعل العقوبات فعلها وتدفع طهران لقبول التفاوض من جديد، ما يفسر الى حد بعيد التخلي الاميركي عن الضربة العسكرية عقب اسقاط الطائرة المسيرة. في المقابل، فان ما تريد طهران تحاشيه تحديدا هو اطالة زمن العقوبات، ما يدفعها الى استخدام الاوراق التي في حوزتها وهي ليست كثيرة، وتلخص بالبرنامج النووي والتصعيد لعلها بذلك تتمكن من تحسين اوراقها التفاوضية. هذه اللعبة بالذات، وعنوانها السير على حافة الهاوية، هي التي تقلق الاوروبيين وتدفعهم الى قرع ناقوس الخطر الداهم.

اوفد الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون الى طهران مستشاره الديبلوماسي الخاص ايمانويل بون للتخفيف من حدة التوتر حول الملف النووي. وتقول مصادر ديبلوماسية فرنسية ان ماكرون يود ان يلعب دورا رائدا على المسرح الدولي من خلال انقاذ الاتفاق النووي، وان يكون وسيطا مقبولا، خصوصا وان الاتصالات المتلاحقة التي اجراها مع ترامب وروحاني بينت ان هناك هامشا للمناورة، وان الطرفين الاميركي والايراني ولاسباب متناقضة يريدان التفاوض. ما تريده باريس هو تسهيل هذه العملية عبر طرح مجموعة من الافكار التي يمكن ان تحوز قبول الطرفين وتؤدي في مرحلة اولى الى وقف التصعيد وتبريد الوضع، وفي مرحلة ثانية الى فتح الباب من اجل جمع كل الافرقاء حول الطاولة.

المعلومات المتوافرة في باريس تفيد بأن المطلوب من ايران هو الامتناع بداية عن اي عمل استفزازي اضافي شبيه باسقاط طائرة الاستطلاع الاميركية او استهداف ناقلات نفط، الامر الذي سيقضي على السيناريوهات المتداولة لخفض التصعيد. السبب في ذلك انه سيضع الرئيس الاميركي في موقف حرج وسيدفعه الى الرد عسكريا. يريد الاوروبيون من طهران البقاء داخل الاتفاق والتزام بنوده، ما يعني عمليا التخلي عن نشاطات التخصيب غير المسموح به، والرجوع الى السقف المتاح لمخزون اليورانيوم والمياه الثقيلة والامتناع عن اي خطوات اضافية تنتهك الاتفاق. الرسالة الاوروبية لطهران ان مسارها الراهن خاطئ لانه يعني خسارة الدعم السياسي والديبلوماسي الاوروبي.

يعتقد الاوروبيون ان سياسة الضغوط التي تتبعها اميركا قد تؤدي الى نتائج عكسية.

تقول المصادر الاوروبية ان الدول الثلاث، فرنسا وبريطانيا والمانيا، لا تريد الوصول سريعا الى هذه المرحلة الحساسة التي ستعني حكما امرين:

- اول: موت الاتفاق واعادة فرض العقوبات الدولية وليست الاميركية فقط على طهران، والتي سيكون عليهم عندها العمل بموجبها.

- ثان: العودة الى المربع الاول اي ما قبل الاتفاق.

ثمة قناعة اوروبية بأن سياسة حافة الهاوية التي تتبعها ايران من خلال الخروج البطيء من بعض الالتزامات واعطاء المهل المتتالية لاوروبا، غرضها استمرار الضغوط على الاوروبيين ودفعهم الى التدخل.

الحال ان الاوروبيين يرون ان هامش المناورة المتاح لهم ضيق للغاية، وان وسائل الضغط الوحيدة المتوافرة لديهم هي على طرف واحد هو ايران بينما وسائل الضغط على الطرف الاميركي تبقى معدومة. وبالتالي، فان حظوظ القيام بوساطة فرنسية - اوروبية مرهونة بما تريد طهران تقديمه من تنازلات من اجل العودة الى طاولة المفاوضات. ثمة قناعة مفادها بانه في غياب استفزاز ايراني امني جديد في الخليج، فان ادارة ترامب غير مستعجلة، وانها تراهن على عامل الزمن وعلى الضغوط القصوى الاقتصادية والمالية على طهران لارغامها على العودة للتفاوض حول برامجها النووية والصاروخية وحيال سياستها الاقليمية. بازاء ذلك، تبدو اوروبا عاجزة، لا بل مشلولة الحركة، فلا هي قادرة على الاستجابة لما تريده طهران، ولا هي قوية الى درجة مقاومة الضغوط الاميركية. لعل ابلغ صور هذا العجز ان الآلية المالية "انستكس" التي عمل عليها الاوروبيون منذ 14 شهرا، لا تزال غير موجودة عمليا حتى اليوم، ما يدفع الطرف الايراني الى اتهامهم بغياب الارادة السياسية لمقاومة ضغوط واشنطن، وعدم الرغبة في الدخول بعملية "لي ذراع" معها.

يرى محللون ان ايران لا تستطيع الانتظار تحت وطأة العقوبات وتريد فكها. ولأن الصورة هي بهذا القدر من التعقيد، اضافة الى وقوع ادارة ترامب اسيرة مواقفها وقراراتها، اندفعت طهران في طريق الضغط على اوروبا للعودة الى وضع ما قبل ايار. هي تريد تصديرا للحد الادنى المطلوب لنفطها، اما رفع مستوى التخصيب فرسالة موجهة الى اوروبا لكي تتحرك خارج الضغط الاميركي.